تعليقات فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

على كتاب

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

للإمام ابن القيم رحمه الله

«الشريط الثاني عشر»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

قال المؤلف رحمه الله تعالى.

المتن: وقال الله تعالى: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: ٥٥].

الشيخ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ.

هذه الآية في المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، سموا بالمنافقين؛ هذا اسمهم في القرآن، ومنها النفاق، والنفاق هو الخروج، ومنه النفقة إذا أُخرجت، فهم خرجوا من الإيمان؛ ليس عندهم إيمان وأظهروا الإسلام لأجل أن يعيشوا مع المسلمين، خوفا من القتل، الرسول ﷺ قبل منهم علانيتهم، وترك سرائرهم إلى الله عز وجل، والله جل وعلا ذمهم وعابهم في القرآن الكريم، وكرر هذا لأجل الحذر منهم لأنهم عدو باطني.

الكفار الأصليون أعداء ظاهرون يعرفهم المسلمون ويتخذون الوقاية منهم؛ لكن هؤلاء يظهرون الإسلام ويعيشون مع المسلمين وهم يخادعون الله والذين آمنوا ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة: ٨ – ٩] الله جل وعلا قال فيهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون: ٤] فينبغي الحذر منهم قال جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[التحريم: ٩] الكفار بالسلاح والمنافقون يجاهدون بالحجة والبيان، وكشف أسرارهم حتى يعرفهم المسلمون ويحذروا منهم، الله جل وعلا قد يعطيهم فصاحة في الكلام، يعطيهم جمالا في المظاهر، ويعطيهم فصاحة في اللسان من باب الابتلاء والامتحان، ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ﴾ عندهم فصاحة يؤثرون على من سمعهم ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ يعني دائما يتوقعون العقوبة ويخافون أن تنكشف أسرارهم عند

المسلمين فيعاقبونهم ﴿ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ من الخوف،عندهم خوف ورعب ﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤ ﴾ [المنافقون: ٤]

فيجب الحذر منهم وعدم الانخداع بهم ولو أظهروا ما أظهروا من التملق ومن الدعوة إلى الله بزعمهم، فيهم دعاة، فيهم أحزاب، فيهم طوائف، ينبغي الحذر منهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩ ﴾ [التحريم: ٩] الله جل وعلا يبتليهم فيعطيهم الأموال؛ يكونون أثرياء، ويعطيهم الأولاد وليس ذلك من صالحهم وإنما هو من شقائهم ليشقيهم الله بالأموال ويشقيهم بالأولاد، ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [التوبة: ٥٥] فهم يتعبون في تحصيل الأموال ويخافون من ضياعها، ويتعبون أيضا مع الأولاد ؛ الأولاد يتعبونهم، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥ ﴾ الله أنزل فيهم سورة التوبة، فضح كثيرا من أسرارهم ولهذا تسمى سورة التوبة بالفاضحة لأنها فضحتهم، و أنزل فيهم أيضا سورة أخرى { ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ﴾ [المنافقون: ١] سورة المنافقون من أولها إلى آخرها فيهم ليحذرهم المسلمون لأنهم يعيشون بينهم ويخدعونهم فيجب الحذر منهم.

فالأموال والأولاد فتنه، ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾ [التغابن: ١٥] فتنة يعني إبتلاء واختبار، من يطيع الله في المال، من يطيع الله في الأولاد، ومن يعص الله في المال ويعص الله في الأولاد، والنفس تحب الأموال وتحب الأولاد وقد تنحرف مع المال و تنحرف مع الأولاد، تعص الله عز وجل هذه فتنه.

المتن: وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥ ﴾ [التوبة: ٥٥] ولم يصب من قال: إن الآية على التقديم والتأخير، كالجرجاني.

الشيخ: الجرجاني المفسر إمام جليل في التفسير.

المتن: ولم يصب من قال: إن الآية على التقديم والتأخير، كالجُرجاني حيث قال: ينتظم قوله ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بعد فصل آخر ليس بموضعه على تأويل: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ في الحياة الدنيا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ في الآخرة، وهذا القول يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منقطع.

الشيخ: منقطع السند يعني.

واختاره قتادة وجماعة، وكأنهم لما أشكل عليهم وجه تعذيبهم بالأموال والأولاد في الدنيا، وأن سرورهم ولذتهم ونعيمهم بذلك، فروا إلى التقديم والتأخير.

الشيخ: إي نعم، يعني هم نظروا إلى الظاهر أن الأموال فيها مسرة للنفوس والأولاد فيهم مسرة أيضا فكيف يكونون عذابا؟

إنما العذاب في الآخرة يقولون، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ يعني في الآخرة، والآية تأبى هذا، الآية ﴿لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، كأنهم يقولون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ يعني في الآخرة.

المتن: وأما الذين رأوا أن الآية على وجهها ونظمها فاختلفوا في هذا التعذيب، فقال الحسن البصرى: يعذبهم بأخذ الزكاة منها والإنفاق في الجهاد.

الشيخ: إي نعم، يعذبهم بأنهم يمنعون الحق الواجب فيها بخلا، إذا أُخذت منهم يكرهون هذا؛ فهم في عذاب من الزكاة وفي عذاب من الانفاق في الجهاد، وهذا يؤخذ منهم؛ يأخذه المؤمنون منهم ويتعذبون بهذا.

المتن: فقال الحسن البصرى: يعذبهم بأخذ الزكاة منها والإنفاق في الجهاد، واختاره ابن جرير، وأوضحه، فقال: العذاب بها إلزامهم بما أوجب الله عليهم فيها من حقوقه وفرائضه.

الشيخ: وهم لا يريدون ذلك لأنهم ليس عندهم إيمان، المال يكون متمكنًا من قلوبهم لا يسمحون به، نعم.

فقال: العذاب بها إلزامهم بما أوجب الله عليهم فيها من حقوقه وفرائضه إذ كان يؤخذ منه ذلك، وهو غير طيب النفس، ولا راج من الله جزاء، ولا من الآخذ منه حمدا ولا شكرا، بل على صُغر منه وكره.

الشيخ: نعم، هو لا يريد أن تؤخذ منه لأنه يظهر الإسلام، تؤخذ منه الزكاة، ولا يؤخذ منه أيضا للجهاد في سبيل الله، وهو ما يرجو الآخرة، يريد المال ولا يريد الآخرة؛ فيتعذب إذا أُخذت منه.

المتن: وهذا أيضا عدول عن المراد بتعذيبهم في الدنيا بها، وذهاب عن مقصود الآية.

الشيخ: هذا تعقيب ابن القيم على تفسير الحسن.

المتن: وقالت طائفة: تعذيبهم بها أنهم يتعرضون بكفرهم لغنيمة أموالهم، وسبى أولادهم فإن هذا حكم الكافر، وهم في الباطن كذلك.

الشيخ: إي نعم، يخافون على أولادهم أنهم يُسترقون، و أموالهم أنها تُؤخذ غنيمة، فهم في خوف على المال وعلى الأولاد؛ لأن ما عندهم إيمان، يخشون أنهم يظهر كفرهم فتؤخذ منهم أولادهم وأموالهم - معاملة الكفار- يخشون أن يُعاملوا معاملة الكفار لأنهم كفار في الباطن، ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [المنافقون: ٤]

المتن: وهذا أيضا من جنس ما قبله فإن الله سبحانه أقر المنافقين، وعصم أموالهم وأولادهم بالإسلام الظاهر وتولى سرائرهم، فلو كان المراد ما ذكره هؤلاء لوقع مراده سبحانه من غنيمة أموالهم وسبى أولادهم، فإن الإرادة هاهنا كونية بمعنى المشيئة، وما شاء الله كان ولا بد، وما لم يشأ لم يكن.

الشيخ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ إرادة كونية، ماهي إرادة شرعية.

المتن: والصواب، والله أعلم، أن يقال: تعذيبهم بها هو الأمر المشاهد من تعذيب طلاب الدنيا ومحبيها ومؤثريها على الآخرة: بالحرص على تحصيلها، والتعب العظيم في جمعها ومقاساة أنواع المشاق في ذلك، فلا تجد أتعب ممن الدنيا أكبر همه، وهو حريص بجهده على تحصيلها، والعذاب هنا هو الألم والمشقة والتعب.

الشيخ: إي نعم، ليس العذاب عذاب النار وإنما هو عذاب المشقة في الدنيا والتعب والحرص والجشع، التألم النفسي والعذاب النفسي، ليس عذابا جسديا.

المتن: كقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ»

الشيخ: من العذاب ما هو من عذاب الآخرة وإنما هو من عذاب ما في السفر من التعب والمشقة والسهر وغير ذلك، تعب بدني.

المتن: وقوله: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» أي يتألم ويتوجع.

الشيخ: نعم هذا الحديث في الصحيح، الميت يُعذب بما نيح عليه أو ببكاء أهله عليه، قالوا كيف يُعذب وهذا ما هو من عمله؟ الله جل وعلا يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

أجابوا عن هذا بجوابين:

- الجواب الأول: أن هذا محمول على الذي يوصي أهله بالنياحة عليه، قبل أن يموت يوصيهم، فهو رضي بهذا وأوصاهم به.

إذا أنا مت فابكيني بما أنا أهله		وشُقي علي الجيب يا أم معبد

صار يوصي بهذا، شق الجيب، فالحديث محمول على هذا والله أعلم.

- والقول الثاني وهو الصحيح: ما ذكره هنا، أن المراد ما هو تعذيب النار وإنما تعذيب الألم، أنه يتألم إذا بكوا عليه أو ناحوا عليه، أنه يتألم تألما نفسيا، يضايقه وهو في قبره هذا الشيء ولا يرضى به، وهذا هو الأقرب والله أعلم.

المتن: وقوله: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» أي يتألم ويتوجع لا أنه يعاقب بأعمالهم.

الشيخ: لأنه لا يُعاقب بفعل غيره ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

المتن: وهكذا من كانت الدنيا كل همه أو أكبر همه كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من حديث أنس رضي الله عنه: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ.»

الشيخ: قال النبي ﷺ «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ » الله يعطي غنى القلب لعباده المؤمنين، فيرتاحون بذلك ولو ما معهم من الدنيا إلا قليل، وأما إذا فقدوا غنى القلب لو جُمعت لهم الدنيا كلها ما استراحوا؛ يريدون المزيد، فالغني ماهو بكثرة المال؛ الغنى هو غنى القلب؛ هذا هو الغني.

المتن: «مَنْ كانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِناهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ».

الشيخ: هذه الفوائد التي تحصل من غنى القلب، أن الله يجمع له شمله، ويُفرج همه، وأيضا تأتيه الدنيا، يُرزق المال ولكن لا يكون في قلبه، يكون المال في يده لا في قلبه، ينفقه ويتصدق منه، ويقدمه لآخرته.

المتن: «وَمَنْ كانَتِ الدُّنْيا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ »

الشيخ: لو اجتمعت له الدنيا كلها ما قنع لأنه فقير القلب، فالفقر فقر القلب ماهو بفقر قلة المال.

المتن: « جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيا إلا مَا قُدِّرَ لَهُ » ومن أبلغ العذاب في الدنيا: تشتيت الشمل وتفرق القلب، وكون الفقر نصب عينى العبد لا يفارقه، ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها لاستغاثوا من هذا العذاب، على أن أكثرهم لا يزال يشكو ويصرخ منه. وفي الترمذى أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: « يَقُولُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى: ابْنَ آدَم، تَفَرَّغْ لِعبادَتِي أَمْلأ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لا تَفْعَلْ مَلأتُ يَدَيْكَ شُغْلا، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ »

الشيخ: نعم الله جل وعلا قال: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾[العنكبوت: ١٧] لا تشتغل بطلب الرزق وتترك العبادة أو تشتغل بالعبادة وتترك طلب الرزق، إجمع بين هذا وهذا، هذا شأن المؤمن، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] إجمع بين العبادة وطلب الدنيا من الوجه المباح والتجارة المباحة.

المتن: وهذا أيضا من أنواع العذاب، وهو اشتغال القلب والبدن.

الشيخ: ما قال لهم إذا فرغتم من الصلاة اجلسوا في المسجد، لا تطلعوا، أعبدوا ربكم في المسجد ولا تطلعوا، قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ﴾ هذا أمر من الله سبحانه وتعالى، ليه؟ ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ أطلبوا الرزق.

المتن: وهذا أيضا من أنواع العذاب، وهو اشتغال القلب والبدن بتحمل أنكاد الدنيا ومجاذبة أهلها إياها، ومقاساة معاداتهم، كما قال بعض السلف: من أحب الدنيا فليوطن نفسه على تحمل المصائب.

الشيخ: حب الدنيا شقاء.

المتن: ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث: همّ لازم، وتعب دائم، وحسرة لا تنقضى.

الشيخ: نعم، هو في هم وفي تعب وفي حسر دائما وأبدا، هذا محب الدنيا.

المتن: وذلك أن محبها لا ينال منها شيئا إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه، كما في الحديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام: « كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لابْتَغَى لهمَا ثَالِثا"»

الشيخ: نعم هذا في الحديث الصحيح، ويقال أنه آيه منسوخة « وَلَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِيًا وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانِيًا لَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»

المتن: وقد مثل عيسى ابن مريم عليه السلام محب الدنيا بشارب البحر، كلما ازداد شربا ازداد عطشا.

الشيخ: لأن البحر مالح لا يرفع العطش كلما ازداد شربا ازداد عطشا؛ كذلك الدنيا مثل البحر إذا شربت منها تزداد عطشا.

المتن: وذكر ابن أبي الدنيا أن الحسن البصرى كتب إلى عمر بن عبد العزيز "أما بعد: فإن الدنيا دار ظعن.

الشيخ: ظعن يعني: رحيل.

المتن: ليست بدار إقامة، إنما أنزل إليها آدم عليه السلام عقوبة.

الشيخ: إنما أنزل آدم عليه السلام إلى الدنيا عقوبة له على أكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، فأهبطه الله من الجنة إلى الأرض عقوبة له.

المتن: إنما أنزل إليها آدم عليه السلام عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين، فإن الزاد منها تركها، والغنى فيها فقرها، لها في كل حين قتيل، تذل من أعزها، وتفقر من جمعها، هي كالسم يأكله من لا يعرفه، وهو حتفه.

الشيخ: وهو حتفه يعني: موته.

المتن: فكن فيها كالمداوى جراحه، يحتمى قليلا، مخافة ما يكره طويلا، ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء، فاحذر هذه الدار الغرارة، الخداعة الختّالة، التى قد تزينت بخدعها، وفتنت بغرورها،

وخيلت بآمالها، وتشوفت لخطابها، فأصبحت كالعروس المجلوة، فالعيون إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، وهى لأزواجها كلهم قاتلة.

الشيخ: نعم هي تتزين للعشاق يريدونها، فمن تزوجها قتلته، هذا شأنها.

المتن: وهى لأزواجها كلهم قاتلة فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى، ونسى المعاد فشَغل بها لُبَّه، حتى زّالت عنها قدمه، فعظمت ندامته، وكثرت حسرته، واجتمعت عليه سكرات الموت وألمه، وحسرات الفوت. وعاشق لم ينل منها بغيته، فعاش بغُصته، وذهب بكمده، ولم يدرك منها ما طلب، ولم تسترح نفسه من التعب، فخرج بغير زاد، وقدم على غير مهاد. فكن أسرَّ ما تكون فيها أَحذَر ما تكون لها.

الشيخ: يعني لا يغرك السرور بها، بل إحذر، مع السرور بها إحذر منها.

المتن: فكن أسرَّ ما تكون فيها أَحذَر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه، وُصِل الرخاء منها بالبلاء، وجُعل البقاء فيها إلى فناء. سرورها مشوب بالحزن، أمانيها كاذبة، وآمالها باطلة، وصفوها كدر، وعيشها نكد، فلو كان ربنا لم يخبر عنها خبرا، ولم يضرب لها مثلا، لكانت قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل.

الشيخ: نعم الله جل وعلا ضرب لها الأمثال، فقال ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾[لقمان: ٣٣] يعني الشيطان، الله حذر منها، لا تغرك الدنيا، وقال ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾ [الكهف: ٤٥]

والآية الأخرى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾[يونس: ٢٤] كأن لم تتزين بالأمس وتزهو بالأمس صارت حصيدا يابسة بدل ما هي مزهرة

وجميلة أصبحت هشيما تذروه الرياح، حصيدا، الله ضرب لها الأمثال وحذر منها، ثم قال بعد هذا ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] يعني الجنة.

المتن: فلو كان ربنا لم يخبر عنها خبرا، ولم يضرب لها مثلا، لكانت قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله فيها واعظ وعنها زاجر؟ فما لها عند الله قدر ولا وزن.

الشيخ: في الحديث « لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّه جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» فهي رخيصة عند الله

المتن: فما لها عند الله قدر ولا وزن ولا نظر إليها منذ خلقها. ولقد عرضت على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا تُنقِصُها عند الله جناح بعوضة، فأَبَى أن يقبلها.

الشيخ: عرضت على النبي ﷺ أن يُعطى مفاتيح الأرض، وأن يكون ملكا نبيا مثل داوود وسليمان عليهما السلام ملكا ونبيا، فأبى ﷺ ذلك وعاش عيشة الفقراء، تأتيه الأموال وينفقها في سبيل الله ويعيش عيشة الفقراء، حتى إنه يربط الحجر على بطنه من الجوع ﷺ، ويجوع يوما ويشبع يوما.

المتن: فأَبَى أن يقبلها كره أن يحب ما أبغض خالقُه، أو يرفع ما وضع مليكه، فزواها عن الصالحين اختيارا، وبسطها لأعدائه اغترارا، فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أُكْرِمَ بها، ونسى ما صنع الله عز وجل برسوله ﷺ حين شد الحجر على بطنه".

الشيخ: مع أنه أكرم الخلق على الله كان يجوع ويشد الحجر على بطنه من الجوع عليه الصلاة والسلام.

كلام جيد، رسالة عظيمة.

المتن: وقال الحسن أيضا: إن قوما أكرموا الدنيا فصلبتهم على الخُشب.

الشيخ: أكرموها وهي أهانتهم، صلبتهم على الخشب.

المتن: فأهينوها فأهنأ ما تكون إذا أهنتموها.

وهذا باب واسع.

وأهل الدنيا وعشاقها أعلم بما يقاسونه من العذاب وأنواع الألم في طلبها، ولما كانت هي أكبر هَمّ من لا يؤمن بالآخرة، ولا يرجو لقاء ربه، كان عذابه بها بحسب حرصه عليها، وشدة اجتهاده في طلبها.

وإذا أردت أن تعرف عذاب أهلها بها فتأمل حال عاشق فانٍ في حب معشوقة، فكلما رام قربا من معشوقة نأى عنه، ولا يفي له ويهجره ويصل عدوه. فهو مع معشوقة في أنكد عيش، يختار الموت دونه، فمعشوقة قليل الوفاء، كثير الجفاء، كثير الشركاء.

الشيخ: يعني الدنيا.

المتن: فمعشوقة قليل الوفاء، كثير الجفاء، كثير الشركاء سريع الاستحالة، عظيم الخيانة، كثير التلون، لا يأمن عاشقه معه على نفسه ولا على ماله، مع أنه لا صبر له عنه ولا يجد عنه سبيلا إلى سلوة تريحه، ولا وصال يدوم له، فلو لم يكن لهذا العاشق عذاب إلا هذا العاجل لكفي به، فكيف إذا حيل بينه وبين لذاته كلها، وصار معذبا بنفس ما كان ملتذا به على قدر لذته به، التي شغلته عن سعيه في طلب زاده، ومصالح معاده؟

وسنعود إلى تمام الكلام في هذا الباب في باب ذكر علاج مرض القلب بحب الدنيا إن شاء الله تعالى، إذ المقصود بيان أن من أحب شيئا سوى الله تعالى، ولم تكن محبته له لله تعالى، ولا لكونه معينا له على طاعة الله تعالى: عذب به في الدنيا قبل اللقاء.

الشيخ: من أحب شيئا لغير الله عذبه الله بما أحب.

المتن: إذ المقصود بيان أن من أحب شيئا سوى الله تعالى، ولم تكن محبته له لله تعالى، ولا لكونه معينا له على طاعة الله تعالى: عذب به في الدنيا قبل اللقاء كما قيل:

أَنْتَ الْقَتِيلُ بِكلِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوى مَنْ تَصْطَفِي

فإذا كان يوم المعاد ولّى الحَكَم العدل سبحانه كل محب ما كان يحبه في الدنيا. فكان معه: إما منعما أو معذبا.

ولهذا: "« يُمَثَّلُ لِصاحِبِ المَالِ مَالُهُ شُجاعاً أَقْرَعَ يَأْخُذُ بِلِهزِمَتيه، يعنى شدقيه، يقُولُ: أنَا مَالُكَ، أَنَا كَنزُكَ، وَيُصَفّحُ لَهُ صَفائحَ مِنْ نَارٍ يُكْوَى بِهَا جَبِينُهُ وَجَنبهُ وَظَهْرُهُ"» .

الشيخ: كما في الحديث الصحيح، وفي الآية ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]

وجاء في الحديث أنه إذا وُضع في قبره جاءه ثعبان أقرع مملوءً من السم فأخذ بلهزمتيه وأفرغ السم فيه وقال أنا كنزك أنا مالك، وفي القرآن ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا

يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤ – ٣٥]

والمراد بالكنز: هو مالا تُخرج زكاته، هذا هو الكنز ما هو الكنز المدفون كما يفهم العوام، الكنز هو الذي لا تُخرج زكاته، وما أُخرجت زكاته فليس بكنز.

المتن: فإذا كان يوم المعاد ولّى الحَكَمُ العدل سبحانه كل محب ما كان يحبه في الدنيا،فكان معه: إما منعما أو معذبا ولهذا: "« يُمَثَّلُ لمحب المَالِ مَالُهُ شُجَاعاً أَقْرَعَ »

الشيخ: في الحديث « المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» يوم القيامة، فالذي يحب الأخيار يكون مع الأخيار والذي يحب الأشرار يكون مع الأشرار.

« يَأْخُذُ بِلِهزِمَتَيه، يعني شدقيه، يقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ، وَتُصَفّحُ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فيُكْوَى بِهَا جَبِينُهُ وَجَنبهُ وَظَهْرُهُ"» .

الشيخ: كما في الآية، عرفنا أن الكنز هو الذي لا تُخرج زكاته.

المتن: وكذلك عاشق الصور إذا اجتمع هو ومعشوقه على غير طاعة الله تعالى.

الشيخ: عاشق الصور الذي يعشق النساء الجميلات في غير الحلال يكنَّ عذابا عليه، وإن نال منهن ما يريد إلا أنهن عذابا عليه.

المتن: وكذلك عاشق الصور إذا اجتمع هو ومعشوقه على غير طاعة الله تعالى جمع الله بينهما في النار، وعذب كلٌ منهما بصاحبه.

الشيخ: الزناة والزواني يوم القيامة يكونون في تنور من نار والعياذ بالله يرتفع بهم ويهبط بهم.

المتن: وعذب كلٌ منهما بصاحبه قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ الزخرف: ٦٧]

الشيخ: الأخلاء إذا كانوا في غير طاعة الله متاحبين في غير الله فإنهم يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة ويعادي بعضهم بعضا، ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ يلعن بعضهم بعضا، يقول أنت السبب، أنت اللي أهلكتني، انت اللي أوقعتني في هذا، أنت ..أنت..

المتن: وأخبر سبحانه أن الذين توادوا في الدنيا على الشرك يكفر بعضهم ببعض يوم القيامة، ويلعن بعضهم بعضا

الشيخ: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت: ٢٥]

المتن: وأخبر سبحانه أن الذين توادوا في الدنيا على الشرك يكفر بعضهم ببعض يوم القيامة، ويلعن بعضهم بعضا ومأواهم النار وما لهم من ناصرين.

الشيخ: كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه.

فالمحب مع محبوبه دنيا وأخرى. ولهذا يقول الله تعالى يوم القيامة للخلق: « أَلَيْسَ عَدْلا مِنّي أَنْ أُوَلّي كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا كَانَ يَتَوَلَّى فِي دَارِ الدُّنْيا؟».

الشيخ: يعني يجمع بينه وبين من يحب في الدنيا؛ المؤمن مع المؤمنين والكافر مع الكفار هذا عدل من الله سبحانه وتعالى ؛ المرء مع من أحب يوم القيامة.

المتن: وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبّ».

الشيخ: لما قال له رجل يامُحَمَّد متى الساعة؟ قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ :مَاذا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، قال ﷺ « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبّ» يوم القيامة.

المتن: وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ – ٢٩]

الشيخ: هذا المصير يوم القيامة، أن كل خليل يلعن خليلة إذا كانت الخلة على غير طاعة الله والمحبة في غير الله عز وجل، تنقلب إلى عداوة وبغضاء وتلاعن بينهم والعياذ بالله.

وقال تعالى: ﴿ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

الشيخ: ﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ يعني: أشباههم.

المتن: ﴿ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥﴾ [الصافات: ٢٢ – ٢٥]

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "أزواجهم: أشباههم ونظراؤهم" وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧﴾ [التكوير: ٧]

الشيخ : : ﴿زُوِّجَتۡ﴾ يعني: كل شكل يُجعل مع شكله المؤمن مع المؤمنين والكافر مع الكفار.

المتن: وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧﴾ فقُرن كل شكل إلى شكله، وجُعل معه قرينا وزوجا: البر مع البر، والفاجر مع الفاجر.

والمقصود: أن من أحب شيئا سوى الله عز وجل فالضرر حاصل له بمحبوبه: إن وُجد وإن فُقد، فإنه إن فقده عذب بفراقه وتألم على قدر تعلق قلبه به، وإن وجده كان ما يحصل له من الألم قبل حصوله، ومن النكد في حال حصوله، ومن الحسرة عليه بعد فوته، أضعاف أضعاف ما في حصوله له من اللذة:

فَمَا فِي الأَرْضِ أَشْقَى مِنْ مُحِبٍّ *** وَإِنْ وَجَدَ الهَوَى حُلْوَ المَذَاقِ

تَرَاهُ بَاكِيًا فِي كلِّ حال *** مَخَافَةَ فُرْقةٍ أَوْ لاشْتِياقِ

فَيَبْكِى إِنْ نَأَى شَوْقاً إِلَيْهِمْ *** وَيَبْكِى إِنْ دَنَوْا حَذرَ الْفِرَاقِ

فَتَسْخنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلاقِي *** وَتَسْخنُ عَيْنُهُ عِنْدَ الْفِرَاقِ

وهذا أمر معلوم بالاستقراء والاعتبار والتجارب، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره: « الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه»

الشيخ: ملعونة يعني مذمومة، إلا ذكر الله وما والاه فإنه محمود وممدوح.

المتن: فذِكْر الله: جميع أنواع طاعته.

الشيخ: المراد بالذكر هنا ليس المقصود الذكر باللسان فقط؛ بل كل الطاعات ذكر لله وإن لم يتلفظ، إذا صلى فقد ذكر الله، إذا تلى القرآن فقد ذكر الله، إذا تصدق فقد ذكر الله، كل الطاعات ذكر لله عز وجل.

المتن: فذِكْر الله: جميع أنواع طاعته، فكل من كان في طاعته فهو ذاكره، وإن لم يتحرك لسانه بالذكر، وكل من والاه الله فقد أحبه وقربه.

الشيخ: والموالاة هنا معناها المحبة.

فاللعنة لا تنال ذلك إلا بوجهه، وهى نائلة كل ما عداه.

الشيخ: يكفي.